

لقد مرّ الأدب العربي بمراحل وعصور متتالية ومتعاقبة ومتداخلة، وقف مؤرخوه أمام تقسيمها وتحقيبها مواقف وتنوعت مناهجه بين مناهج واقعة ومتخيلة، مطبقة ومفروضة والأدب العربي له واقعه الخاص ومميزاته المتفردة، وله تاريخه الذي لا يشاركه فيه تاريخ آخر من حيث هذه الرقعة الفسيحة التي شملها وهذه الأجيال المتطاولة التي طواها ؛ وهو لذلك لا يستجيب استجابة كاملة لأنماط الدراسة في الآداب الأخرى ولا يقاس عليها، يوائمه والنظرية التي تملك أن تنظمه من أطرافه كلها . فما معنى التحقيب؟ وما المناهج التي ظهرت لتحقيب وتقسيم الأدب العربي ؟ ولم التقسيم السياسي ؟ وما مزاياه وعيوبه ؟ ومن هم رواده؟ ما المقصود بتحقيب الأدب العربي؟ تقسيم الأدب العربي إلى عصور أدبية، وهذا التقسيم قضية من أبرز القضايا التي مازال يشتعل والدكتور شوقي ضيف هو رائد تقسيم العصور السياسية في دراسة الأدب العربي، مروراً بدراساته حول الفن الشعري والنثري، وختاماً بدراساته عن الأدباء والقضايا والسؤال هنا لِمَ اللجوء إلى التقسيم السياسي ؟ ولم توضع أسماء العصور وليس الأدباء؟ وإذا كان التقسيم السياسي لماذا يُعد بشار بن برد من العصر العباسي الأول وهو من العصر الأموي، أي شاعر مخضرم؟ إذا كان كذلك لم لا يُعد محمود سامي البارودي من العصر العثماني قياساً على بشار ؟ ثم هل مصطلحا القديم والحديث ثابتان؟ فلكل قديم في عصره حديث أو معاصر له، لذا فالتسمية بهما ليست دقيقة إلا من باب التقسيم المؤقت. الموجودة في الأدب العربي توازي التقسيمات في الآداب الأخرى ؟ وهل التقسيم السياسي خاضع للحملات والحروب ؟ مما جعل بعضهم يعترض على جعل الحملة الفرنسية على مصر بدايةً للعصر الحديث واعتبار انتصار أكتوبر عام 73م بدايةً فإذا كان انتصار أكتوبر بدايةً للتاريخ الأدبي الحديث لِمَ لا تعد انتصارات العرب والمسلمين الكبرى محطات لهذا التقسيم ؟ إذن فمعايير التقسيم وهذا الوضع تفتقر الثبات .

لقد ظهرت عدة مناهج ونظريات لتقسيم الأدب العربي، من أبرزها: النظرية المدرسية، منذ أخذ طريقه ليكون دراسة مستقلة، وتقوم على تقسيمه إلى خمسة عصور أدبية، وحكمها الهوى وثار عليها المحدثين من مؤرخي الأدب ونقدوها. ونظرية الفنون الأدبية التي تعتمد على تصنيف نتاجه وتجريده عن هذا العنصر الزماني، وهي نظرية لا تقنع كل حاجة البحث ولا تروي ظمأه . فيرى أصحابها أن الأدب العربي أدب أجناس متباعدة مختلفة، وتأثر بالآداب الترجمة، وبذا تفضي هذه النظرية إلى رفضها وتجاوزها . ونظرية الثقافات ترى أن الأدب العربي عاش في دفقة الثقافات الكثيرة التي التقت في الحياة الإسلامية، وأثرت عليه وأنه من الممكن دراسة هذا الأدب تبعاً للثقافة التي غلبت على أصحابها فندرس أدب الثقافة الهندية والعربية واليونانية، أي هؤلاء الذين يتمثلون هذه الثقافة ويقبلون غيرا ان هذه الدراسة وفق هذه النظرية لم تكن منهجا سليما " المؤرخين من وقف مع نظرية المذاهب الفنية أي دراسة الأدب وفق الطوابع الفنية التي توزعه، من أثر في قلب الدراسة الأدبية وتجديدها وتحديدها والقدرة على تبين أهدافها. أما أقلمة الأدب فكانت تدعو لها النظرية الإقليمية بدراسة الأدب في كل قطر عربي على حدة، كالشام ومصر والمغرب، وهذه الدراسة لا تفضي إلى نتائج خصبة، ولا تؤدي إلى غاية تتلاءم مع واقع الحياة الفنية التي لم يستطع فيها الأدب العربي أن يكون إقليميا قط . ومن العربي، ومن أوائل من ألفت فيها حسن توفيق العدل في كتابه تاريخ الأدب، وأحمد الإسكندراني في كتابه الوسيط، وأحمد حسن الزيات في كتابه تاريخ الأدب العربي، وطرائقهم التي أذاعوها ، وكان كتاب الوسيط للإسكندراني المعتمد في مدارس وزارة المعارف بمصر، وكتاب الزيات اعتمدته وزارة المعارف في العراق وغيرها من الأقطار العربية . 2- عصر ابتداء الإسلام . 3- عصر الدولة الأموية . 4- عصر الدولة العباسية والأندلس ويرى عدد من الأدباء والمؤرخين أن التاريخ الأدبي وثيق الصلة بالتاريخ السياسي والاجتماعي لكل حضارة، لذلك والانقلابات الاجتماعية واتفق أكثر كتابنا أن يقسموا تاريخ أدبنا إلى خمسة أعصر. تارة، والعامل الاجتماعي تارة أخرى، لكنها تبقى الأساس في التقسيم، فووقت الأدب بهذه الأحداث الضخمة، وربطت بينها وبين دراسته ربطا محكما، الحديثة في الدراسة الأدبية. كما التزم المؤرخون التقسيم الخماسي لهذه العصور، واتفقوا على العصر الجاهلي كفترة مستقلة سياسيا واجتماعيا ودينيا، كذلك تجد الارتباط بين الشرق والغرب في هذا التقسيم السياسي الذي ربط الأندلس بالعصر وقد سلطنت هذه النظرية وهذا التقسيم السياسي في مظهرين: الأول : التزام وزارات المعارف في الأقطار العربية لهذا التقسيم في مدارسها، واقتناع هذه الأجيال بهذا التقسيم كنوع من المسلمات . حيث يرى أن المحطات السياسية حاضرة في العصور السابقة، وصدر الإسلام ينتهي ببداية الأموي، وانتقال الخلافة الراشدة إلى الأمويين، السلاجقة، وفي عالم دويلات السلاجقة كان حضور الخلافة العباسية رمزيا في الإمارات، كما أن الحضور الأدبي انعكاس للحضور السياسي. وأورد مؤيدوا التقسيم السياسي عدداً من المميزات، من أهمها : 1- أن معرفة التاريخ وظروف العصر تُعين الباحث على فهم الأدب، والوقوف على اتجاهاته وتتبع تطورات. 2 بمعرفة المذاهب السياسية للشعراء نستطيع فهم أشعارهم. 3- للسياسة أثر في رواج بعض الفنون الأدبية وضعف البعض. من الخصائص التي تميّز التقسيم السياسي عن غيره: 1 دراسة مدى تأثير العمل الأدبي

أو صاحبه بالبيئة الزمانية والمكانية ومدى تأثيره فيهما. -2- دراسة الأطوار التي مر بها فن من الفنون الأدبية . 3- معرفة مجموعة الآراء التي أبدت في عمل فني أو في صاحبه للموازنة بين هذه الآراء. 4- التأكد من نسبة النص لقائله والديوان لمؤلفه . ولابد من امتلاك القدرة على التذوق الفني لدى من يقوم بتطبيق المنهج التاريخي السياسي؛ النصوص الأدبية حسب خصائص عصرها . كما ظهر عدد من منتقدي هذا التقسيم السياسي، لهذا التقسيم السياسي، عندما سموا العصر الثاني للآداب العباسية عصر الانحطاط، من غير تحقيق ولا تثبيت فجئوا على الأدب العباسي؛ ومن الكتاب ابن العميد وابن عباد والصايي، ومن الفلاسفة الفارابي وابن سينا وابن لوقا، ومن الأدباء أبو هلال وابن المرزبان والآمدي والجرجاني، ومن النحويين ابن فعصر ينبغ فيه هؤلاء وأمثالهم من المؤرخين والجغرافيون والفلكيين أن يكون عصر رقي ونهضة، لا عصر ضعف وانحطاط في العلوم والآداب . وفصل ما بين الأدب والسياسة من تبعية فليس هناك تطابق تام بينهما، ويطالبون بضرورة العناية بالظاهرة الأدبية فيما وراء العنصر السياسي السطحي القريب، وإنصاف القرن الرابع من وصمة الانحطاط التي لحقت به جراء التقسيم السياسي . ومن خلال استعراض الآراء السابقة تتلخص أهم عيوب هذا التقسيم في : 1- اضطراب التقسيم السياسي بين المؤرخين، وإن اتفق غالبيتهم على العصور الخمسة له . 2- لا يمكن اعتماد الفصل التام بين العصور السياسية في الحياة الأدبية وخاصة مع المخضرمين من الأدباء والشعراء. 3- هذا التقسيم يزعم أنه يدرس الأدب في عصر ما من العصور، ولكنه في الواقع يقصر دراسته على منطقة من المناطق، فهو أشد عناية بعواصم العصور الإسلامية، وحواضرها في حين تهمل الأقاليم الأخرى . 5- إهمال الجانب الفني المتعلق بالقيم الشعورية والتعبيرية . 6- تعميم الأحكام العامة على كل أبناء العصر مع إهمال أو إغفال المواهب الشخصية .